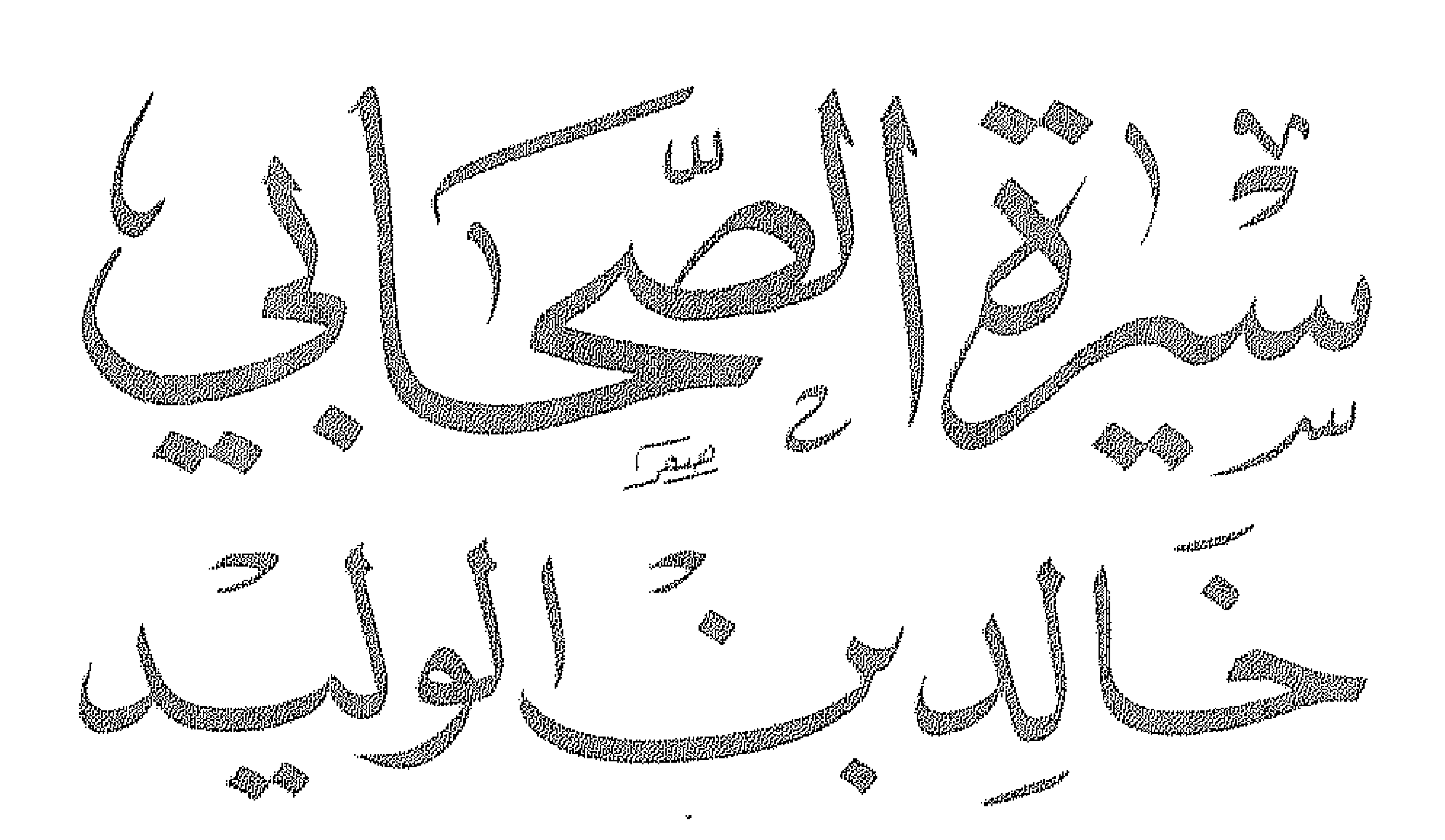


تأليف
أحمد عيسى

دار الجيل
بيروت

سيرة الصحابي
خالد بن الوليد

سِيرَةُ الصَّحَابِيِّ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ

"سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللَّه"

رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

تعريف بالمؤلف

لفضيلة الشيخ الأمين بن محمد المحيسن

المطّلع على سيرة المؤلف عبده غالب أحمد عيسى الذاتية المثبتة في ذيل مؤلفاته المطبوعة بأنه متخرج من كلية العلوم ــ جامعة الخرطوم ومتخصص أحياء نبات وكيمياء، يدور بخلده السؤال:

ــ كيف التوفيق بين منهج المؤلف ذي الدراسة الأكاديمية وبين مؤلفاته الدينية والأدبية المتعددة المقاصد ؟.

فالإجابة: أن هذه المؤلفات ليست وليدة الصدفة المجردة ولا الاجتهاد الشخصي وإنما الرجل المؤلف واصل دراسته الدينية والعربية عبر سنين عديدة وعلى شيوخ علماء.

بدأ دراسته على الشيخ محمد الحسين الشنقيطي إمام مسجد المرحوم علي أحمد بسوق أم درمان الكبير. ثم درس على الشيخ إبراهيم ميبتوت خريج معهد أم درمان العلمي بعض كتب الفقه مثل « متن العزية » و « متن الرسالة » وكتاب « متن العقباوية » في التوحيد. ثم واصل ملازمة العلامة الورع حسن السيرة والسريرة خالد الذكر العلامة الشيخ محمد المجذوب مدثر الحجاز بمسجد والده بسوق الشجرة بأم درمان، فقد درس عليه تفسير الجلالين وبعض أجزاء من مختصر الشيخ خليل بن إسحاق وأقرب المسالك من الفقه المالكي وبعض أجزاء من صحيح الامام البخاري كما ودرس عليه كتاب رياض الصالحين في الحديث.

ثم واصل دراسته مع العلامة الشيخ محمد علي الطريفي المحاضر بكلية القرآن الكريم بأم درمان. فدرس عليه في الفقه حاشية العدوي وبلغة السالك، وفي اللغة حاشية أبي النجا على شرح الأجرومية وكتاب قطر الندى في النحو، ولا يزال يواصل الحضور عليه.

كما حضر ولا يزال يحضر على الشيخ العلامة المحقق أحمد الفكي بالحتانة بأم درمان دروساً في الفقه المالكي. ودرس على الدكتور الوسيلة موسى

والشيخ أحمد عبد الرحيم كتاب الرحبية في علم الميراث.

كما حضر على كاتب هذه السطور كتب اللغة العربية الآتية:

١ ــ التحفة السنية بشرح الأجرومية.
٢ ــ تنقيح الأزهرية.
٣ ــ شرح قطر الندى لابن هشام.
٤ ــ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.
٥ ــ البلاغة الواضحة.
٦ ــ المنهاج الواضح في علوم البلاغة بأجزائه الخمسة.

ولا يزال يواصل دراسته معي. ودرس على الشيخ احمد الجد والاستاذ ياسين محمد طاهر علم التجويد.

وليست هذه أو هذا التعريف من باب « الدعاية » أو الاعلام أو الاعلان وإنما دفع لما يحدث من لبس بين متخصص في علوم أكاديمية ومؤلف في علوم دينية. فنزيد بهذا التعريف إزالة اللبس، وان المؤلف دارس العلوم الدينية والعربية دراسة متأنية مثبتة فهو من أهلها وليس دخيلاً عليها.

وفي الختام أسأل الله أن ينفعه بعلمه وينفع بعلمه إنه سميع مجيب.

الفقير إلى عفو ربه القدير
الأمين بن محمد المحيسن

الحائز على شهادة العالمية من معهد أم درمان العلمي العالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه الطاهرين.

مقدمة

يسرُّني أن أقدم لك أيها القارئ الكريم في هذا الكتاب سيرة صحابيّ[1] عظيم من أصحاب الرسول، ﷺ، قاد الجيوش الإسلامية حقبة من الزمان وحقَّق الانتصاراتِ، ورفع راية الإسلام عاليةً خفَّاقة. ذلكم هو خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي والذي قال المصطفى ﷺ في حقّه : « نعم عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله ».

فيا لها من منقبة عظيمة ودرجة سامية رفيعة نالها خالد رضي الله عنه بشهادة نبيّ الله ﷺ.

---

(١) يعرف الصحابي بأنه : كلّ مَن ِ اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به في حال حياته واستمرّ على إيمانه حتى مماته.

ألا فلنَقْرَأ هذه السيرة العطرة بتدبُّرٍ وفَهْمٍ لنأخذَ منها دروساً عظيمة تنير لنا الطريق، وتكون لنا قبساً وضاءً يقودنا الى الصراط المستقيم.

والله أسأل أن يتقبَّل هذا العمل ويفيد به ويزيد محبتنا في أصحاب الرسول ﷺ الذين شيَّدوا لنا أركان هذا الدين الإسلامي العظيم، والذين باعوا نفوسهم في سبيل مرضاة رب العالمين. اللهُمَّ ارضَ عنهم جميعاً واحشرنا معهم في زمرة النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين. آمين

خالد بن الوليد

نسبه

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، القرشي. وأمه عصماء وهي لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن الهلاليّة، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

كنيته

كان يكنى أبا سليمان.

مكانته في الجاهلية

كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه القبة وأعنَّة الخيل في الجاهلية.

أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش.

وأما الأعنَّة فإنه كان يكون المقدَّم على خيول قريش في الحرب.

وقد كانت لخالد مقدرة فائقة وفَهْمٌ واسع ودراية تامَّة بقيادة الجيوش والحروب آنذاك. وإنه، وقبل الإسلام، شارك في « غزوة أُحُد » مع المشركين، وكان على خيل المشركين يوم الحديبيَّة.

في غزوة أحد

لم تزل قريش متأثرة بالهزيمة التي لحقَتْ بها يوم بدر. وممَّا زاد في تأثُّرها إغلاق طريق التجارة في وجهها. فخرج المشركون وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مئتا فرس بقيادة أبي سفيان.

وكان يقود ميمنة الخيل خالد بن الوليد. وقبل أن يلتقي الجيشان تَعبَّى رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سَبْعِ مئة رجل، وأَمَّر على الرُّماة « أي الذين يرمون بالنبل » عبدَ الله بن جبير وهو مُعلم يومئذ بثياب بيض، والرُّماة خمسون رجلاً، فقال :

« إنْضَحِ [1] الخيل عنّا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نُؤْتينّ مِنْ قبلكَ ».

وبدأت المعركة وانتصر المسلمون في أولها انتصاراً كبيراً. وبدأوا يجمعون الغنائم. فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل، قالوا : ما لنا في الوقوف من حاجة.

ونسوا أمر النبي ﷺ لهم بعدم مبارحة الجبل ان انتصر المسلمون أو انهزموا. وقد ذكرهم بذلك رئيسهم عبد الله بن جبير، ولكنهم لم يلتفتوا لقوله لظنهم أن المعركة قد انتهت.

وانطلقوا يجمعون الغنائم ولم ينزل معهم رئيسهم وثبت معه قليل منهم. فلما رأى خالد بن الوليد خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل مَنْ ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بجمع الغنائم.

واكتفى المشركون بهذا النصر الذي حقّقه لهم خالد ابن الوليد ورجعوا خوفاً من أن تدور الدائرة عليهم مرة أخرى.

---

(١) انضح : ادفع.

يوم الحديبيّة

قال ابن اسحاق : إن رسول الله ﷺ خرج يريد زيارة البيت لا يريد حرباً، وساق معه الهَدْيَ سبعين بدنة، فسار رسول الله ﷺ حتى إذا انتهى إلى عُسْفان « اسم موضع » لقيه بُسْر بن سفيان الكعبي، كعب خزاعة، قال :

يا رسولَ الله، هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا بالعُوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبداً، وهذا هو خالد بن الوليد في خيل قريش قد قدموه الى كُراع الغَمِيم « اسم موضع ».

فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش قد أكلتها الحرب !!

وانتهى أمر الحديبيّة بصلح الحديبيّة المشهور والذي اشتمل على عدة أمور أهمها :

أ ــ وَضْعُ الحرب عن الناس عشر سنين.

ب ــ مَنْ أتى محمداً ﷺ من قريش بغير إذن وليه

ردّه على المشركين، ومَنْ جاء قريشاً من المسلمين لم يردّوه عليه.

ج ــ وأنه في العام القابل يدخل النبي ﷺ مكة بأصحابه ويقيموا بها ثلاثاً.

قصة إسلام خالد

جاء في « صفة الصفوة » قول خالد رضي الله عنه : « لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حبَّ الإسلام وحضرني رشدي، وقلت:

قد شهدتُ هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهدُه إلّا انصرفتُ وأنا أرى في نفسي موضعاً في غير شيء وأنّ محمداً سيظهر. ودافَعَتْه قريش بالراح يوم الحديبيَّة فقلت : أين المذهب ؟ وقلت : أخرج إلى هرقل « أي ملك الروم » ثم قلت : أخرج من ديني الى نصرانيّة أو يهودية فأقيم مع عجمٍ تابعاً لها مع عيب ذلك عليّ !!

ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القضيّة « أي عمرة القضاء » فتغيبتُ، فكتب لي أخي :

« لم أر أعجبَ من ذهاب رائك عن الإسلام وعقلُك عقلُك، ومثل الإسلام جهله أحد ؟

وقد سألني رسول الله ﷺ عنك،

فقال : أين خالد ؟

فقلت : يأتي الله به.

قال : ما مثل خالد جهل الإسلام !

فاستدرك يا أخي ما فاتك ».

فلما أتاني كتابه نشطتُ للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرّتني مقالة النبي ﷺ.

فأرى في المنام كأنّي في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت الى بلد أخضر واسع، فقلت : إنّ هذه لرؤيا.

فذكرتها بعدُ لأبي بكر، فقال:

هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام، والضيق : الشرك.

فأجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ، وطلبتُ مَنْ أُصاحب، فلقيتُ عثمان بن طلحة فذكرتُ له الذي أريد، فأسرع الإجابة وخرَجْنا جميعاً فأدْلَجْنا سَحَراً.

فلما كنّا بالهدّة « اسم موضع » إذا عمرو بن العاص،
فقال : مرحباً بالقوم.
فقلنا: وبك.
فقال : أين مسيركم ؟

فأخبرناه وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ. فاصطَحَبنَا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان.

فلما طلعتُ على رسول الله ﷺ سلَّمْتُ عليه بالنبوة. فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق، فأسلمت. فقال رسول الله ﷺ : قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلَّا الى خير.

وبايعتُ رسول الله ﷺ، وقلت : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صدٍّ عن سبيل الله.

فقال : إنّ الإسلام يجبُّ[1] ما قبله.

ثم استغفر لي.

وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما. فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يُحزِبه.

---

(١) يجبّ : يُسقِط ويمحو ويُزِيل.

في غزوة مؤتة

غزوة مؤتة كانت في جمادى الأولى سنة ثمان، ومؤتة : قرية من أرض البلقاء من الشام، وتُسمَّى ايضاً غزوة « جيش الأمراء » وذلك لكثرة المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار.

وحاصلها أن النبي ﷺ بَعَثَ بَعْثَهُ إلى مؤتة وعددهم ثلاثة آلاف، وأمّر عليهم زيدَ بن حارثة،

وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فجمع هرقل مائتي ألف من الكفار لقتال المسلمين. ثم التقوا واقتتلوا. وقد خطب النبي ﷺ في الناس وأعلمهم بما دار في الغزوة من مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة،

وقال : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه ».

وإنه لما قُتل القواد الثلاثة الذين عينهم رسول الله ﷺ أخذ الراية: ثابتُ بن أقرم وجعل يصيح: يا للأنصار، فجعل الناس يثوبون إليه، فنظر الى خالد بن الوليد،

فقال : خذ اللواء يا أبا سليمان.

فقال : لا آخذه أنت أحقُّ به، لك سنّ وقد شهِدْتَ بدراً.

قال ثابت : خُذْهُ أيُّها الرجل فوالله ما أخَذْتُهُ الّا لك.

وقال ثابت للناس : اصطلحتم على خالد ؟

قالوا : نعم.

فحمل اللواء وحمل بأصحابه فَفَضَّ جمعاً من جَمْع المشركين وقاتل خالد رضي الله عنه في مؤتة قتالاً شديداً حتى حدَّث عن نفسه،

فقال : لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية.

واستطاع خالد رضي الله عنه بهمته ومهارته الحربية أن يحمي جيش المسلمين من الضياع، فإنه في غده خالف ترتيب الجيش فجعل الساقة « أي المؤخرة » مقدّمة، وجعل المقدّمة ساقة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، ممّا أدخل الرعب في قلوب الروم وظنوا أنّ هنالك مدداً جاء للمسلمين.

وأخذ خالد رضي الله عنه يرجع بالجيش الى الوراء، وانحاز بالناس حتى انصرف بهم. ومكث يناوش العدو سبعة ايام ثم تحاجز الجيشان، فقد خاف الكفار أن تتوالى الأمداد للمسلمين، كما خافوا أن يجرَّهم المسلمون إلى وسط الصحارى حيث لا يمكن التخلُّص منهم. فتوقَّف القتال وأقبل الجيش إلى المدينة.

ولقيهم الناس وهم يقولون : يا فُرَّار ! فررتم في سبيل الله !! ويقول الرسول ﷺ : « ليسوا بالفُرَّار ولكنَّهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى ».

فقد ظنّ الناس أن انحياز سيِّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه بالجيش هزيمة، ولكنه كان في الحقيقة مهارة وخبرة وحسن تدبير من سيدنا خالد رضي الله عنه.

في فتح مكة

ولما أراد الرسول ﷺ فتح مكة كان خالد رضي الله عنه في بعض الناس على المجنبة اليمنى، ودخل من أسفل مكة. فإنَّه رضي الله عنه لم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعِنَّة الخيل فيكون في مقدَّمتها في الحروب. وقد أُصيب في فَتْح مكة بعضٌ من خيل خالد رضي الله عنه، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً ثم ولوا منهزمين.

مسير خالد الى بني جذيمة

وبعث رسول الله ﷺ خالداً رضي الله عنه الى بني جذيمة من كنانة وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً الى الله عز وجل.

قال عبّاس بن مرداس في شأن تأمير خالد على هذه السرية :

فإنْ تَكُ قد أمَّرْتَ في القَوْمِ خَالداً
وقَدَّمْتَــهُ فإنَّــهُ قد تَقَدَّمَــا
بجُنْــدٍ هَدَاهُ الله أنتَ أميــرُهُ
تصيبُ بِهِ في الحقِّ مَنْ كان أظْلَمَا

ووصل خالد رضي الله عنه إلى بني جذيمة ووضعوا السلاح ووضعت الحرب، وأمن الناس، وأمر بهم خالد، فكتفوا، فقتل منهم.

وبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ، فرفع يدَيْه، ثم قال :
« اللَّهُمَّ إنّي أبرأُ إليك مِمَّا صنع خالد بن الوليد ».

وبعث رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني جذيمة ومعه مال، فودى لهم المال التي أصيبت والدماء، وبقيت معه بقية من المال، وقال لهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟

قالوا : لا.

قال : فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ مما يعلم ولا تعلمون. « ففعل ».

ثم رجع الى رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع، فقال : أصبت وأحسنت.

وإنّه لما كان خالد رضي الله عنه من أصحاب النبي ﷺ المجمع على صحبتهم. والصحابة هم أولى الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج فقد عذر أهل العلم خالد لأنه قال :

ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبدالله بن حذافة السهمي، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام.

وروي أيضاً أن بني جذيمة حين أتاهم خالد قالوا : صبأنا صبأنا.

ومعنى صبأنا : خرجنا من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام.

وإلّا اذا لم يكن لخالد رضي الله عنه وجه في قتالهم أو تأول لما تركه النبي ﷺ، ولاقتصَّ منه، ففي الشرع لا يجوز لمسلم أن يقتل مسلماً إلَّا خطأً.

هدم العزَّى

ولقد بعث رسول الله ﷺ خالداً إلى بيت يعظمة — حي من قريش بنخلة « اسم موضع »، وكذلك تعظمه كنانة ومضر. وكان سدنة البيت وحجابه من بني سليم.

فلما سمع صاحب العزَّى السلمي بخروج خالد رضي الله عنه إليها، ارتفع في الجبل وقال بعد أن كان قد علق سيفه على العزَّى :

أيا عزَّ شدِّي شدةً لا شوىً لها
على خالدٍ أَلْقِي القناعَ وشَمِّرِي
يا عزَّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً
فَبُوئي بإثمٍ عاجلٍ أو تنصري

فلما وصل خالد رضي الله عنه إلى « العزَّى » قام بهَدْمِها،

وقال :

عُزَّ كُفْرانَك لا سبحانك
إنِّي رأيتُ الله قد أهانكِ

مسير خالد الى
دَوْمة الجندل

وبعد غزوة تبوك أرسل النبي ﷺ خالداً رضي الله عنه إلى أكيدر بن عبد الملك وكان ملكاً على كندة وكان نصرانيّاً،

وقال لخالد : إنّك ستجده يصيد البقر.

وقد وجده كما قال له النبي ﷺ. وفي هذا معجزة للنبي ﷺ.

قال ابن هشام : فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه « أي حصن اكيدر بن عبد الملك » بمنظر العين وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر،

قالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟

قال : لا والله !!

قالت : فمَنْ يترك هذه ؟

قال : لا أحد.

فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له « أي جعل السرج على ظهره » وركب معه نَفَرٌ من أهل بيته فيهم أخٌ له يقال له حسان. فركب، وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ « يقودهم خالد » فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج « ملابس من حرير » مخوص بالذهب، فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

عن انس قال رأيت « قباء أكيدر » حين قدم به على رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجّبون منه « أي من نعومته وجماله » فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد[1] بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. ثم إنّ خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته.

---

(١) سيد الأنصار، مات شهيداً حين انفجر جرحه الذي أصيب به من سهم في أكحله أصابه في غزوة الأحزاب، وقد اهتزَّ العرش فرحاً وطرباً بصعود روحه، وكان من أكابر الصحابة وله مواقف حميدة.

في غزوة حنين

وكذلك شارك خالد رضي الله عنه في غزوة حنين التي حدثت بعد فتح مكة والتي قال الله في شأنها :

﴿ لَقَدْ نصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرةٍ ويَوْمَ حُنَينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكمُ فَلَمْ تُغْن عَنْكُمْ شيئاً وَضَاقَتْ عليكُمُ الأرضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرينَ * ثم أنزلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولهِ وَعَلَى المؤمنين وأنزَلَ جُنُوداً لم تَرَوْهَا وعذّبَ الذيـن كَفَـروا وذلك جَزَاءُ الكافِرينَ ﴾[1].

ففي هذه الغزوة كان خالد رضي الله عنه على مقدمة رسول الله ﷺ في بني سليم. وقد جرح رضي الله عنه وأسند الى مؤخرة رحله لأنه قد أثقل بالجراحة. وقد عاده النبي ﷺ وتفل في جرحه فبرأ.

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٥ و ٢٦.

حكم أكل الضبّ

حدّث خالد رضي الله عنه عن نفسه أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة « أي أم المؤمنين وخالته ».

فَأُتِي بِضَبٍّ[1] محنوذ « أي مشويّ »، فأهوى إليه رسول الله ﷺ يريد أن يأكل منه.

فقالوا : يا رسول الله، هو ضب. فرفع رسول الله ﷺ يده.

فقلت : أحرام هو ؟

قال : لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدُنِي أعافه.

قال خالد : فاجتزرته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر.

---

(١) ليس المقصود بالضب المعروف عندنا فإنه يسمى « الوزغ ». وأما الضب المقصود في الحديث أعلاه فهو دابة كالأرنب.

قصة إسلام
بني الحارث بن كعب

جاء في شأنها في سيرة ابن هشام ما نصه :

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فَاَقْبَلْ منهم، وإن لم يفعلوا فقَاتِلْهُم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون الى الإسلام، ويقولون : أيها الناس، أسلموا. فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه.

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ :

« من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، يا رسول الله صلى الله عليك؛

فإنك بعثتني الى بني الحارث بن كعب، وأمرتني اذا أتيتهم ألّا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمتُ فيهم، وقبلتُ منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإني قدمتُ عليهم فدعوتهم الى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركبانا،

قالوا : يا بني الحارث، أسلموا، تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليَّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ».

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلّا هو.

أما بعد،

فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث ابن كعب قد أسلموا قبل أن نقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدالله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل، وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ».

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ــ فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم،

قال : مَنّ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند.

قيل : يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب.

فلما وقفوا على رسول الله ﷺ، سلموا عليه،

وقالوا : نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله

قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا.

فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية. فلم يراجعه منهم أحد. ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة.

فقال يزيد بن عبد المدان : نعم، يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا.

قالها أربع مرار.

فقال رسول الله ﷺ : لو أنّ خالداً لم يكتب إليَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم.

فقال يزيد بن معدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً.

قال : فمن حمدتم ؟

قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله.

قال : صدقتم.

ثم قال رسول الله ﷺ :

بِمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؟

قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله :

إنا كنا نجتمع ولا نفترق.

ولا نبدأ أحداً بظلم.

قال : صدقتم.

في
حروب الردة

الرِّدةُ هي كفر المسلم وخروجه عن دين الإِسلام ورجوعه الى الكفر.

وإنه وبعد وفاة النبي ﷺ ارتدت طوائف من العرب وكانوا على صنفين في ردتهم :

أولاً : صنف ارتدّ بادِّعاء النبوة.

ثانياً : صنف ارتدّ بمَنْع الزكاة.

إدعاء النّبوة

ومن المعلوم أن النبي سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين ولا نبيّ بعده.

قال تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبِيِّينَ ﴾[1].

فكل مَن ادَّعى النبوَّة بعد سيدنا محمد ﷺ فهو كافر ومرتدٌّ وكلُّ مَنْ صدّق مدَّعي النبوَّة هذا فهو ايضاً كافر ومرتدّ.

ومن أمثلة هؤلاء :

أ ــ بنو طيِّئ وأسد ومَنْ تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خُوَيْلد الأسدي.

ب ــ وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسَيْلمة.

ج ــ وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود العنسي.

مانعو الزكاة

والصنف الثاني من المرتدِّين هم مانعو الزكاة جحوداً.

وإن هنالك قاعدة في باب الردة تقول : « كُلُ مَنْ أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر ومرتد ».

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

ومعنى شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة أي شيئاً معلوماً عند جميع المسلمين علمائهم وعوامهم.

فالزكاة مثلاً معلوم من الدين بالضرورة أي عند جميع المسلمين بأنها فرض وركن من أركان الإسلام، فمن جحدها وقال إنها ليست بفرض ولا ركن فهو كافر مرتد.

وقد كان من طوائف العرب من ارتد بهذه الكيفية وهم :

أ ــ بعض بني تميم الذين يرأسهم مالك بن نويرة.

ب ــ بنو هوازن.

تنبيه

وأما من أقرَّ بالزكاة وأعترف بوجوبها ولم يخرجها فحكمه هو أنه : مسلم عاصٍ.

وقد نهض سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتال المرتدين، وأمَّر خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان له في قتالهم الأثر العظيم.

مسير خالد إلى طليحة بن خويلد الأسدي وغيره

ولقد وجه أبو بكر رضي الله عنه خالداً إلى طليحة بن خويلد الأسدي فإذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح ثم أمره بالمسير الى مسيلمة وأمده بجيش كبير. ولقد كتب صاحب «كتاب إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء الشيخ محمد الخضري رحمه الله» في شأن مسير خالد إلى هؤلاء الثلاثة ما نصه:

خبر طليحة

كان طليحة بن خويلد الأسدي رجلاً كاهناً ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ وسلم فتبعه أفاريق من بني إسرائيل ونزل سميراء من بلاد بني أسد شرقي نجد مما يلي العراق، فبعث رسول الله ﷺ ضرَّار بن الأزور الأسدي لمقاتلته، فسار إليه، ولما هَمَّ لمناجزته جاءت الأخبار بوفاة رسول الله ﷺ.

فاستطار أمر طليحة واجتمعَتْ إليه غطفان وهوازن وطيِّئ.

فرجع ضرار الى المدينة وحينئذ سيّر ابو بكر خالد بن الوليد لقتال طليحة ومَنْ معه وكان في جيش خالد، عدي بن حاتم الطائي، فاستأذن خالداً في أن يتعجَّل حتى يدعو قومه بني طيِّئ الى الرجوع لدين الله فسار إليهم ودعاهم فأجابوه لذلك وتركوا طليحة وانضموا الى جيش المسلمين ودعا عدي أيضاً مَنْ مع طليحة من بني جديلة، فأجابوه.

ثم سار خالد حتى التقى بالمرتدِّين ببزاخة فقاتلهم قتالاً شديداً. ولما رأى طليحة أن لا قِبَل له بالحرب هرب هو وزوجته على فرسَيْن كان قد أعدَّهما لذلك ولحق بالشام، فانهزم جيشه.

وقد أسلم طليحة بعد ذلك حينما علم بإسلام بني أسد وغطفان وله ذكر جميل في فَتْح العراق.

ثم اجتمعت قبائل غطفان الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحوأب وكانت سلمى هذه قد سبيت في مدة رسول الله ﷺ وأعتقَتْها أُمُّ المؤمنين عائشة.

وقال لها عليه السلام يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة في بيت عائشة :

« إن احداكن تستنبح كلاب الحوأب ».

فكان فعلها هذا مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (عن ابن خلدون).

ولما علم بذلك خالد سار إليها وقاتل جيشها وهي راكبة على جمل قتل دونه نحو مائة رجل ثم قتلت هي ايضاً فانهزم جيشها.

أما بنو عامر فإنهم لما رأوا ما حلَّ بأسد وغطفان أَتَوْا خالداً، وقالوا : ندخل فيما خرَجْنا منه ونؤمن بالله ورسوله. فقَبِلَ منهم وبايَعَهم على أن يُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويبايعوا على ذلك أبناءهم ونساءهم. ثم طلب من أحدثوا حدثاً في الإسلام فأتى بهم وجازاهم بمثل ما فعلوا.

خبر مالك بن نويرة

كان رسول الله ﷺ قد أمَّر على بني تميم ستة أمراء وهم : الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وصفوان بن صفوان، وسبرة بن عمرو، ووكيع بن مالك، ومالك بن نويرة.

فلما توفي النبي عليه الصلاة والسلام، سيّر الزكاة الى أبي بكر : صفوان بن صفوان، والزبرقان بن بدر. ومنعها قيس بن عاصم ومالك بن نويرة.

فقام مَن بقي على إسلامه في وجه مَن ارتد ومنع الزكاة، وبينما هم على اختلافهم اذ جاءتهم امرأة اسمها « سجاح » من ارض الجزيرة ثم من بني تغلب وكانت نصرانية، فلما توفي رسول الله ﷺ ادعت النبوة، فتبعها كثير من أوباش العرب، فقصدت بهم غزو أبي بكر. فلما وصلت بلاد تميم « وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة»، أرسلت الى مالك بن نويرة تطلب موادعته فوادعها وردها عن غزو المدينة، وأغراها على المسلمين من تميم، ففروا من أمامها.

أما هي فسارَتْ تريد المدينة حتى بلغت النباج « قرية بالبادية » فاعترضها قوم من تميم فحاربوها وأسروا بعض رجالها ثم تحاجزوا على أن تطلق اسراهم ويطلقوا أسراها وترجع فلا تجتاز عليهم. فيئست بذلك من الذهاب إلى المدينة وانقلبت تريد اليمامة.

أما بنو تميم فإنهم راجعوا الإسلام وندموا على ما فعلوا إلّا مالك بن نويرة فإنه ظل متحيراً واجتمع إليه قومه بالبطاح فسار إليه خالد بعد أن انتهى من أمر

طليحة. فلما علم مالك بمسيره أمر قومه فتفرقوا في المياه. فبعث خالد السرايا في أثرهم، فأتى بكثير منهم أسرى وبينهم مالك بن نويرة، فأمر بقتلهم، وتزوج امرأة مالك، وقد نقم عليه عمر بن الخطاب قتل مالك وزوج امرأته لأن جماعة شهدوا عنده أن مالكاً قد راجع الإسلام، فطلب من أبي بكر أن يقتص منه.

فقال أبو بكر : تأول فاخطأ فارفع لسانك عن خالد، فإني لا أشيم سيفاً سلَّهُ الله على الكافرين.

خبر مسيلمة

كان بنو حنيفة ممن وفدوا على رسول الله ﷺ في حياته وفيهم مسيلمة بن ثمامة أحد بني عدي بن حنيفة. فلما ورد المدينة جعل يقول « أي مسيلمة » :

إن جعل لي الأمر من بعده تبعته.

فأقبل إليه النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة،

وقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيته ولن أتعدَّى أمر الله فيك، وإن أبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف.

فسأل ابن عباس أبا هريرة عما رآه النبيّ ﷺ ؟

فقال : إنّ النبيَّ ﷺ :

قال : بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحى إليَّ في المنام : أن أنفخهما. فنفختهما فطارا.

فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي فكان أحدهما : العنسي صاحب صنعاء. والآخر مسيلمة صاحب اليمامة »[1].

فلما رجع مسيلمة ومَنْ معه إلى منازلهم (وهي اليمامة بين نجد والبحرين كالحجاز بين نجد وتهامة) ادَّعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع محمد في الأمر، فاتبعه قومه.

وكتب إلى رسول الله ﷺ :

« من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله،

سلامٌ عليك.

فإني قد أشركتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريش قوم لا يعدلون ».

---

(١) رواه مسلم.

فكتب إليه رسول الله ﷺ.

« من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب.

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد،

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ».

قال الطبري : وذلك بعد منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع.

فلما توفي عليه السلام عقد أبو بكر لواء لعكرمة بن أبي جهل وسيره لقتال مسيلمة وسير على أثره شرحبيل ابن حسنة مدداً له، فلم ينتظر عكرمة مدده حتى يكون اجتماعهما أشدَّ على عدوهما بل تعجل ليكون له الفضل خاصة، فتقدم ولاقى جيش مسيلمة، فنكب « أي لم ينتصر ».

ولما علم بذلك أبو بكر غضب عليه ونهاه عن العودة الى المدينة، وأمر باللحاق إلى اليمن ليكون مع حذيفة وعرفجة على قتال أهل مهرة، فإذا انتهوا ساروا الى المهاجر بن أبي أمية لقتال جنود الأسود العنسي.

مسير خالد الى مسيلمة

وبعث أبو بكر لخالد بن الوليد يأمره بالمسير الى مسيلمة وأمده بجيش كثيف من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى شرحبيل يأمره بانتظار خالد حتى يجتمعا على جنود مسيلمة التي تبلغ عدتها أربعين ألفاً.

فلما علم مسيلمة وبنو حنيفة بدنو خالد خرجوا فعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس، فنفر اليهم عدد كثير، فتقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل، ولما كان على ليلة من معسكر بني حنيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد بني تميم وعامر لإدراك ثأر لهم، وعليهم مجاعة بن مرارة من سادات بني حنيفة. فأمر بهم خالد فقتلوا إلَّا مجاعة فإنه استبقاه لشرفه.

ثم سار خالد حتى التقى بجيش المرتدين، فتقاتل الفريقان قتالاً شديداً، ولما حمي القتال انكشف المسلمون بادئ الأمر حتى وصل المرتدون فسطاط خالد وأرادوا أخذ زوجته، فمنعهم من ذلك مجاعة،

وقال : نعم الحرة هي.

ثم تداعى المسلمون وأنزل عليهم سكينته، فحمل

خالد في الناس حتى رد المشركين إلى أبعد ما كانوا، وتذامر بنو حنيفة وقاتلوا قتالاً شديداً.

فعلم خالد أن رحى الحرب تدور على مسيلمة فطلبه للبراز، فبرز إليه، فلما اشتد عليه الأمر أدبر وزال اصحابه، فنادى خالد في المسلمين فحملوا حتى هزموا المرتدين شر هزيمة.

فتحصنوا في بستان لمسيلمة كان يسمى « حديقة الرحمن ». فقال البراء بن مالك « أحد شجعان الأنصار » : « ألقوني عليهم في الحديقة ».

فألقوه عليهم. فقاتل عن الباب حتى فتحه، فدخله المسلمون، وأكثروا القتل في بني حنيفة حتى قتل مسيلمة، واشترك في قتله « وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب » ورجل من الأنصار. فانهزم بنو حنيفة وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

فقال مجاعة لخالد : والله ما جاءك إلّا سرعان الناس، وإن جماهيرهم لفي الحصون. فهلمَّ أصالِحْكَ على قومي.

وقد كان خالد التقط من دون الحصون من نساء وصبيان ومال.

فقال مجاعة : أصالحك على ما دون النفوس، « وانطلق كأنه يشاورهم »

فأفرغ السلاح على النساء ووقفهن بالأسوار.

ثم رجع إليه.

وقال : أبوا أن يجيزوا ذلك.

فنظر خالد إلى الحصون فوجدها ممتلئة من الجيوش والمسلمون قد نهكتهم الحرب.

وقتل من الأنصار ما ينيف على ثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلهم، ومن التابعين لهم مثلهم أو يزيدون، وقد فَشَتِ الجراحات فيمن بقي. فجنح للسلم، فصالحه على الصفراء والبيضاء ونصف السبي والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية.

فأبوا.

فصالحهم على الربع، فصالحوه.

وفتحت الحصون، فلم يجد بها خالد إلَّا النساء والمستضعفين.

فقال لمجاعة : خدعتني

فقال : قومي ولم استطع إلا ما صنعت.

وبعد هذا الصلح جاءه كتاب من ابي بكر يأمره فيه بقتل كل محتلم، فوفى لهم بصلحه ولم يغدر، ثم أرسل وفداً منهم لأبي بكر بإسلامهم فلقيهم وسألهم عن أسجاع مسيلمة « أي أقواله » فقصوها عليه.

فقال : سبحان الله هذا الكلام، ما خرج من إل ولا بر، فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الى قومهم.

أ هـ. من إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء.

مسير خالد الى بلاد الفرس

وبعد الفراغ من حروب الردة اتجهت انظار المسلمين الى نشر دين الإسلام في مملكة الفرس في الشرق ومملكة الروم في الشمال. وإن الرسول ﷺ كان قد بعث بكتاباته الى كسرى ملك الفرس يدعوه الى دين الإسلام، ولكنه لم يستجب ومزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد بعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد الى بلاد الفرس وأمره أن يبدأ بالأبلة، عند مصب نهر دجلة، فسار إليها خالد. وكان على جيش الفرس قائدهم هرمز. وقد سبق هرمز بجيشه الى الماء ليعطش جيش المسلمين فقال خالد : جَالِدُوهُمْ على الماء، فإن الله جاعله لأصبر الفريقين.

وتقدم خالد رضي الله عنه وسط الصفوف يطلب

البراز راجلاً، فبرز إليه هرمز، فقتله وانهزم الفرس، فخمس خالد الغنيمة فبعث خمسها لأبي بكر رضي الله عنه وقسم أربعة أخماسها على المقاتلين، فجعل للراحل « الذي يقاتل مشيا على الأقدام » « سهم واحد » وجعل للفارس « الذي يركب الفرس » سهمين.

وحين سمع ازدشير ملك الفرس بالهزيمة وكان بالمدائن « مدينة على نهر دجلة جنوب بغداد » أرسل جيشاً كثيفاً بقيادة « قارن » والتقى مع المسلمين في « الثنى » قرب البصرة. فسار اليه خالد، وخرج فارس من المسلمين وبارز « قارن » فقتله. والتقى الجيشان وحدثت مقتلة عظيمة انتصر فيها المسلمون.

ثم سير ملك الفرس جيشاً آخر بقيادة الاندر زعزع. فلقيه المسلمون بقيادة خالد في « وقعة الولجة » والتي انتصر فيها المسلمون.

ثم اجتمع جيش من نصارى بكر بن وائل ومن الفرس وعلى رأسهم « جابان » وحدثت « موقعة الليس » في صفر من السنة الثانية عشرة وانتصر فيها جيش الإسلام بقيادة خالد رضي الله عنه وولى الفرس الأدبار.

دخول الحيرة

الحيرة هي عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهي غربي الفرات على قرب من الكوفة »

سار خالد رضي الله عنه إلى « الحيرة » وحاصر قصورها. ودعا أمراءَها إلى الإسلام وأجلهم يوماً وليلة، فقبلوا واحدة من ثلاث.

أ ــ الإسلام

ب ــ أو الجزية

ج ــ أو المحاربة.

فتقدم الامراء أحدهم وهو : « عمر بن عبد المسيح ».

فقال له خالد : أسلم أنت أم حرب.

قال : بل سلم.

فقال خالد : ما هذه القصور ؟

قال : بنيناها للسفيه نحبسه فيها حتى ينهاه الحليم.

وقد صالحهم خالد رضي الله عنه على الجزية وبلغت مالاً عظيماً واهدوا لخالد هدايا فأرسل خالد الى ابي بكر

رضي الله عنهما، فعدّ الهدايا من الجزية ولم يستأثر بها.

وبعد فتح الحيرة بعث خالد إلى ملوك الفرس كتباً جاء في الكتاب الأول منها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد،

فالحمدلله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم نفعل ذلك كان شرًّا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجزكم إلى غيركم، وإلّا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

وجاء في الكتاب الثاني :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد،

فالحمد لله الذي فض حدتكم، وفرق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شوكتكم، فأسلموا تسلموا، وإلّا فاعتقدوا في الذمة وأدّوا الجزية، وإلّا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر.

فتح مدينة الأنبار

وبعد الحيرة توجه خالد رضي الله عنه الى مدينة الأنبار على شاطئ الفرات شمال الكوفه، وبدأ القتال، فتراجع الفرس وطلبوا الصلح ــ فصالحهم خالد.

فتح بلدة عين التمر

ثم اجتمع الفرس وعدد من قبائل العرب التي تحت حكم الفرس وحاربوا خالداً وجعلوا العرب في مقدمة الجيش لأنهم أدرى بقتال العرب، فأسر خالد رئيسهم وهو يسوي صفوف قومه وانهزم المشركون.

وتوجه خالد بعد ذلك الى دَوْمة الجندل وفتح حصنها عنوةً وأقام بحصنها، وقبض على أكيدر وقتله لأنه نقض ما عاهد عليه رسول الله ﷺ من دفع الجزية.

ثم تجمع الفرس في الحصيد والخنافس « موضعان قرب الأنبار » فسير إليهم خالد جيشاً،فقتل قائدَيْهم وانتصر عليهم وغنم المسملون ما في الحصيد وانهزم الفرس الى الخنافس ثم لحق خالد بنفسه الجيش وهزموا المشركين شر هزيمة وبعد ذلك توجه إلى بُجير التغلبي الذي تجمّع في جيشه فأغار عليه وهزمه.

مسير خالد
الى بلاد الروم

كان أبو بكر رضي الله عنه قد سيَّر جيشاً الى الشام أي المملكة الثانية العظمى آنذاك، وقد سبق أن بعث اليهم النبي ﷺ كتاباً يدعوهم فيه الى الدخول في دين الإسلام. ولكنهم لم يستجيبوا. وفي حياة النبي ﷺ كان قد بعث اليهم جيشاً التقى بجمع الروم في مؤتة والذي استطاع خالد رضي الله عنه أن ينسحب به لما رأى من الأفضل ذلك.

ثم تجهَّز اليهم النبي ﷺ بنفسه وبلغ تبوك، وهناك أتاه صاحب بلدة أيلة « يوحنا بن رؤبة » وصاحب جرباء وأذرح وأعطوا الجزية.

ثم سار أسامة بن زيد رضي الله عنه بجيش في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ حتى وصل « أبنى » ورجع منتصراً.

وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه سيَّر جيشاً الى الشام وعقد لواءه لخالد بن سعيد بن العاص ولقيه جيش من العرب التابعين للروم فانتصر عليه. وكتب الى ابي بكر يطلب منه المدد.

وقعة اليرموك

ارسل ابو بكر رضي الله عنه عدة أمراء الى الشام. فاجتمعت جيوشهم « باليرموك » وهو واد في الجنوب الشرقي من الشام. قال صاحب « إتمام الوفاء » :
ـــ فاجتمعوا باليرموك، وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه، والروم أمامهم وبين الفريقين خندق، فكان الروم يقاتلون باختيارهم وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم وأقام الفريقان على ذلك صفراً والربيعين من السنة الثالثة من الهجرة.

فأرسل الأمراء الى ابي بكر يستمدونه.

فكتب الى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذه معه نصفه ويتوجه الى الشام مدداً لأمرائه. فسار خالد ينسف الأرض نسفاً حتى وصل الى المسلمين في ربيع الآخر. وصادف وصوله وصول ماهان بجيش مدداً للروم.

فتولَّى خالد قتاله وقاتل كل أمير مَنْ بإزائه متساندين. فرأى خالد أن هذا القتال لا يجدي نفعاً ما دامت كل فرقة من الجيش لها أمير، فجمع الأمراء وخطبهم،

وقال : « بعد أن حمد الله وأثنى عليه ».

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر، أخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم. فإن هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون، فإن هذا لا يحلّ ولا ينبغي، وإن من وراءكم مَنْ لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا بما لم تؤمروا فيه بما ترون أنه رأى من وإليكم محبته ».

قالوا : هات فما الرأي ؟

فأشار بأن يؤمَّرَ على الجيش كله أمير واحد ويتناوبوا الإمارة حتى يؤمر هو في اليوم الأول.

فقبلوا مشورته وأمَّروه.

فخرج رضي الله عنه في تَعْبِيَةٍ لم تُعَبِّهَا العربُ قبل ذلك، وليس تَعْبِيَةٌ أكثَرَ رأيِ العين من الكراديس « الفِرَق »؛ فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وأقام فيها عمراً وشرحبيلاً وجعل الميسرة كراديس وأقام فيها يزيد، وجعل على كل

كردوس رجلاً من الشجعان وكان عدد الكراديس ستة وثلاثين كل كردوس الف رجل.

ثم أمر القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل أن ينشبا القتال. فأنشباه، والتحم الناس وتطارد الفرسان. وأظهر خالد عجائب الشجاعة والحمية الإسلامية. ثم إن الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن مواقفهم. فنهض خالد بالقلب حتى حال بين خيل المشركين ورجلهم. فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة. فأفرج لهم المسلمون واشتدوا على الرجالة فهزموهم. وقتلوا منهم خلقاً كثيراً لا سيما اناساً منهم قد اقترنوا في السلاسل لئلا يفروا، وقاتل نساء المسلمين في ذلك اليوم قتالاً شديداً وأبلين بلاء حسنا.

وممن أبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا : أبو سفيان بن حرب بسعيه وتحريضه وانتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة. وفي أثنائها جاء بريد المدينة بموت الصديق وخلافة عمر بن الخطاب وتولية ابي عبيدة رئاسة الجيوش، فلم يبلغ هذا الخبر الجيش إلا بعد أن انقضت الموقعة ».

انتهى من إتمام الوفاء.

عزل خالد
والسبب في ذلك

وإنّ من أول الأعمال التي قام بها الراعي المخلص سيدنا عمر بن الخطاب حين توليه الخلافة هو : عزل خالد بن الوليد عن تولية قيادة الجيوش الإسلامية وتعيين أبي عبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة على قيادتها.

وهنا يتبادر الى الذهب السؤال التالي :

كيف يعزل عمر رضي الله عنه خالداً ذلكم القائد الإسلامي العظيم والسيف الذي سله الله على الكافرين والمنافقين ؟

والإجابة : هي أن سيدنا عمر رضي الله عنه خشي وخاف على المسلمين الفتنة بخالد. لأن خالداً ما دخل في معركة إلّا خرج منها منتصراً. فأراد عمر رضي الله

عنه أن ينبه الى أن النصر ليس بقيادة خالد أو غيره وإنما هو من عند الله تعالى.

ولهذا السبب بعث سيدنا عمر رضي الله عنه رسالة الى الأمصار يوضح فيها السر العميق الذي دعاه الى عزل خالد.

وقد كتب في رسالته :

« إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالِداً عَنْ مَبْخَلة ٍ وَلَا خِيَانَة ٍ، وَلكِن النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله هو الصَّانِعُ. أَيْ وَأَنَّ نَصْرَ خَالدٍ عَلَى مَنْ قَاتَلَهُ مِن المُشْرِكِيْنَ لَيْسَ بِقُوَّتِهِ وَلَا بِشَجَاعتَه ِ بَلْ بِفَضْلِ الله ».

ولما بلغ خالد نبأ عزله أطاع أمر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفس راضية متواضعة، وقال: سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين.

جاء في « صفة الصفوة » : عن عبد الملك بن عمير قال :

« استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام وعزل خالد بن الوليد. قال :

فقال خالد بن الوليد :

بعث عليكم أمين هذه الأمة إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »

فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشيرة »[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

كرامات لخالد
رضي الله عنه

الكرامة هي : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح.

وفيما يلي نورد بعض الكرامات التي أظهرها الله على يد خالد رضي الله عنه.

١ ـ شرب السم

جاء في « حياة الحيوان الكبرى » « إن خالد بن الوليد لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن أبعثوا إليَّ رجلاً من عقلائكم، فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيان بن نفيلة الغساني وكان من المعمرين. عَمَّر أكثرَ من ثلاثمائة وخمسين سنة فقال له المقالة المشهورة وكان في يد عبد المسيح قارورة يقلبها.

فقال له خالد : ما الذي في هذه القارورة ؟

قال : سمٌّ ساعة.

قال خالد : ما تصنع به ؟

قال : إن وجدت عندك ما أحبه لقومي وأهل بلدي حمدت الله، وقبلته، وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسي به ولم أرجع الى قومي بما يسوءهم.

فقال خالد : هاتها، فناوله القارورة، فأفرغها خالد في راحته،

وقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم،

بسم الله وبالله،

بسم الله رب الأرض والسماء،

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ».

ثم شربه. ويقال إنه شرب عليه ماء، فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سري عنه.

فانصرف عبد المسيح الى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلّا أنهم عرب.

فقال لهم : جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره، فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضياً، فهؤلاء قوم مصنوع لهم، وسيكون لهم شأن عظيم. ــ فصالحوه على ثمانين ألف درهم فِضَّة ».

٢ ــ استجابة الدعاء

اخرج ابن سعد عن محارب بن دثار قال : قيل لخالد ابن الوليد: إنّ في عسكرك مَنْ يشرب الخمر.

فجال في العسكر، فلقي مع رجل زق خمر « إناء ».

وقال: ما هذا ؟

قال الرجل: خل.

فقال خالد: اللهم اجعله خلاً.

ففتحه الرجل فإذا هو خل.

فقال : هذه دعوة خالد.

تبرك خالد
بشعر النبي ﷺ

وإنّ الدارس لسيرة خالد رضي الله عنه يجد أنه ما دخل في معركة إلّا وخرج منها منتصراً. وقد جاء في « أُسْدُ الغابة » :

قال خالد بن الوليد : اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة اعتمرها، فحلق شعره، فسبقت الى الناصية « أي شعر مقدم الرأس » فأخذتها، فاتَّخذت قلنسوة « أي طاقية بالعامية السودانية » فجعلتها « أي شعر ناصية رسول الله ﷺ » في مقدم القلنسوة، فما وجهته في وجه إلّا وفتح له » أهـ.

وقد أخرج هذه القصة أيضاً أبو نعيم في دلائل النبوة، والطبراني وأبو يعلى.

وصية خالد

قال صاحب صفة الصفوة: ولما عزله عمر بن الخطاب لم يزل مرابطاً بحمص حتى مرض فدخل عليه ابو الدرداء عائداً فقال :

إنّ خيلي وسلاحي على ما جعلته في سبيل الله عز وجل، وداري بالمدينة صدقة، قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتي وانفاذ عهدي الى عمر.

فقدم بالوصية على عمر فقبلها وترحم عليه.

وفاة خالد
رضي الله عنه

جاء في « أسد الغابة » : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة،

قال : ـــ لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلّا وفيه ضربة أو طعنة « أي برمح » أو رمية « أي بسهم »، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من « لا إله إلا الله » وأنا متترس بها » أهـ

ومات خالد فقبر في بعض قرى حمص على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين. فحكى من غسله أنه ما كان في جسمه موضع صحيح من بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم.

ولما مات خالد رضي الله عنه، اجتمع نسوة بني

المغيرة في دار يبكين على خالد فقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنهن قد اجتمعن فانههن.

فقال عمر : ـــ وما عليهن يُرقن دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نَقْعٌ أَوْ لَقْلَقَة ».

وكلمة النقع معناها : شق الجيوب.

وكلمة لقلقة معناها : الجلبة والصوت.

دعاء نبوي

اشتكى سيدنا خالد بن الوليد الى النبي ﷺ ما يجده بالليل من أهاويل حالت بينه وبين صلاة الليل. فعلمه النبي ﷺ دعاءً يدعو به كل ليلة « ثلاث مرات ». فصار يدعو بها في كل ليلة وأصبح لا يخاف حتى من الأسد والحمد لله.

والدعوة هي :

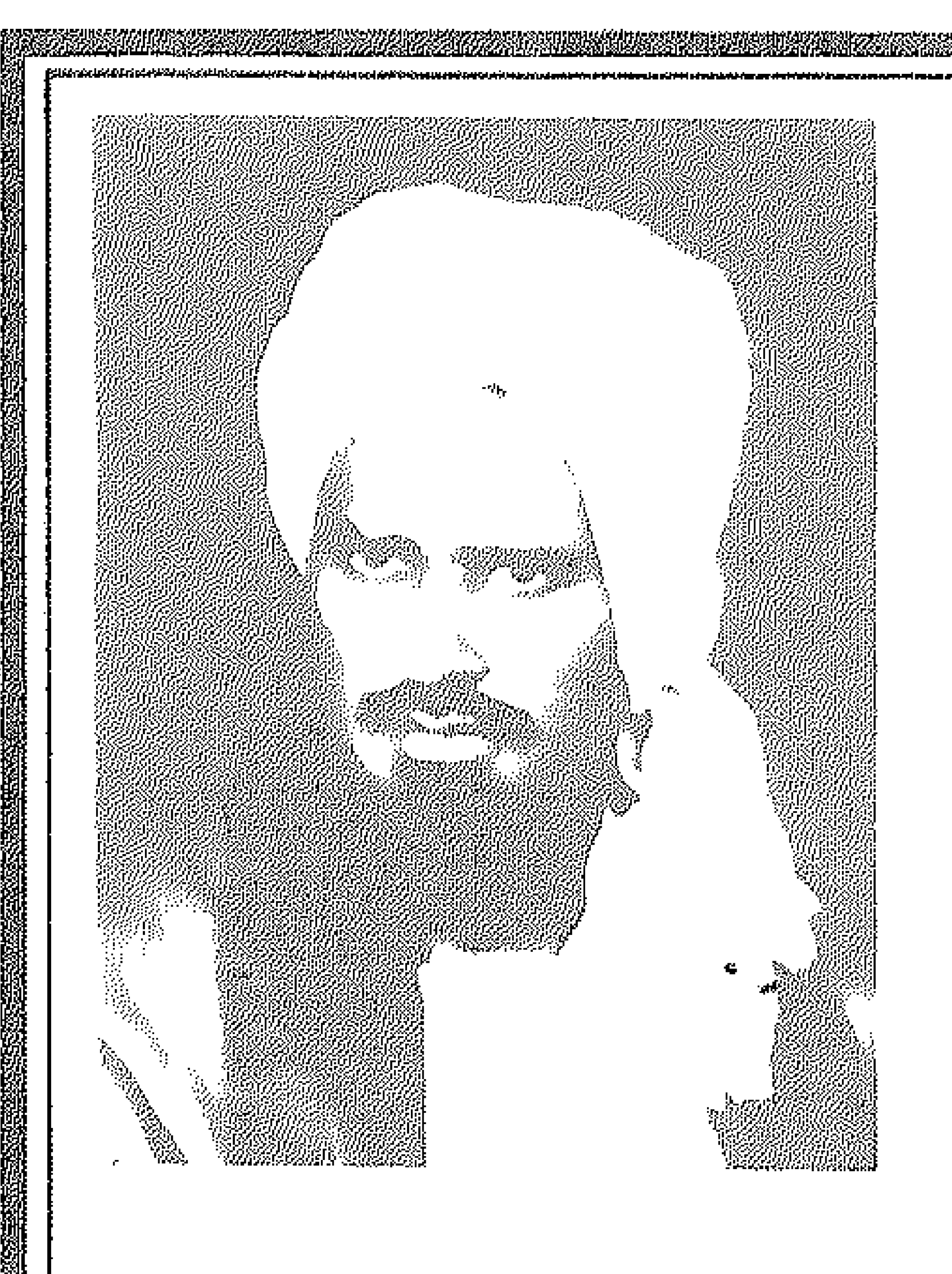
« أَعُوذُ بِكَلِمات الله التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وشَرِّ عِبادِهِ وِمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضُرُون »[1]

فينبغي على كل مسلم أو مسلمة يأرق أو يفزع أو يخاف بالليل أن يقولها ثلاث مرات ويعلمها لمن يعقل من ولده.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط.

الفهرس



نبذة عن
حياة المؤلف

ولد بأم درمان	١٩٤٨م
وتلقى تعليمه:	
الأولي: مدرسة النموذجية أم درمان	٥٦ ـــ ١٩٥٩
الأوسط: مدرسة بيت الأمانة أم درمان	٦٠ ـــ ١٩٦٣
الثانوي: مدرسة المؤتمر ام درمان	٦٤ ـــ ١٩٦٧
الجامعي: جامعة الخرطوم ـــ كلية العلوم	٦٨ ـــ ١٩٧١
حاز على بكالوريوس علوم (كيمياء ـــ نبات)	أغسطس ١٩٧١
عمل مدرساً للأحياء بالثانوي العالي	٧١ ـــ ١٩٧٧
حاز على دبلوم تربية عالٍ ـــ جامعة الخرطوم	ديسمبر ١٩٧٨